

سِلْسِلَة «أَحْلى المُغامَراتِ العالمِيَّةِ»

طوم صُويَر

سِلْسِلَة «أَحْلى المُغامَراتِ العالمِيَّةِ»

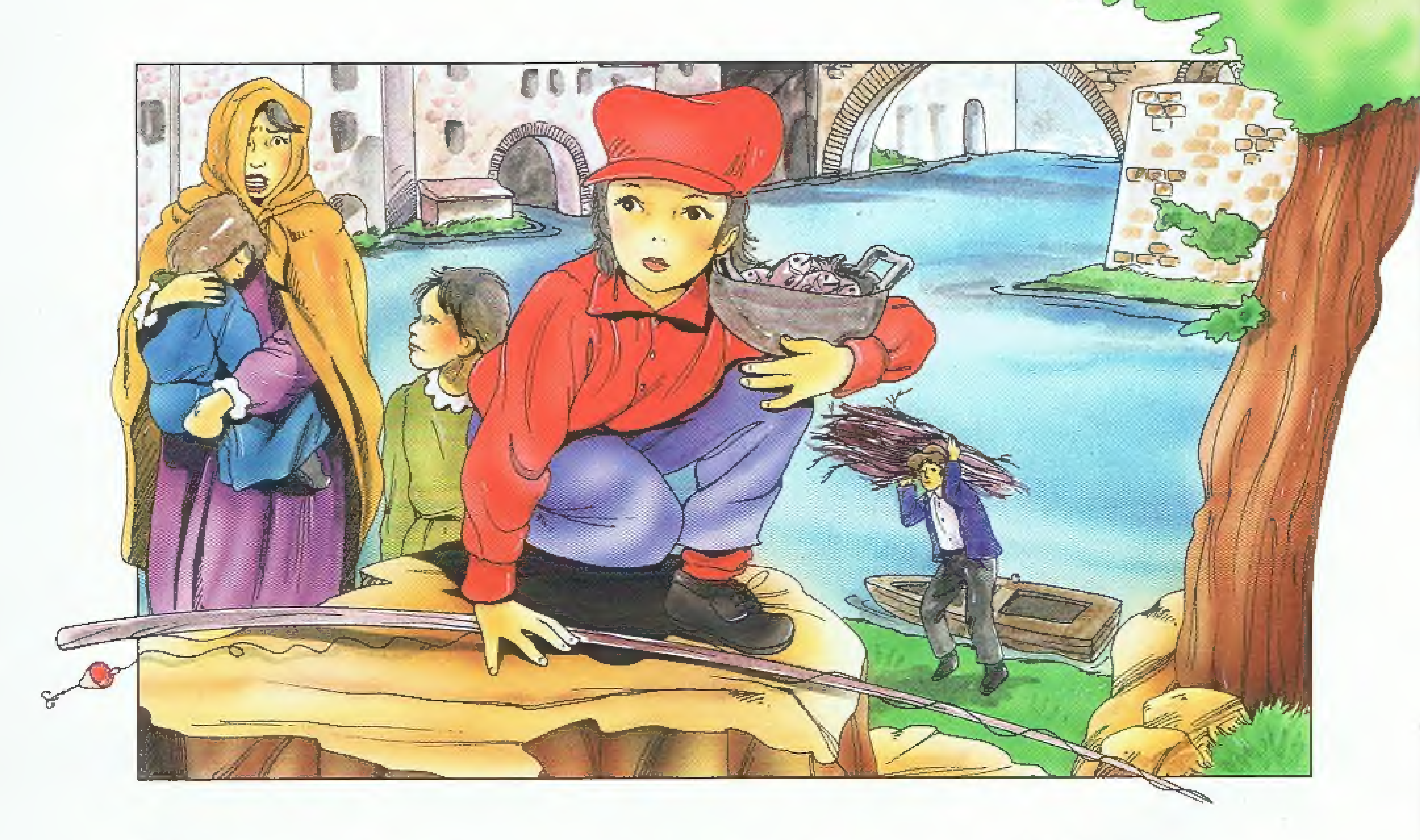
طوم صُويَر

إعداد الدُكتور جوزيف أبو نَجم





الرّسوم ولوحة الغلاف: سليم صوايا



«آهِ! سَوْفَ أُلَقِّنُكَ دَرْسًا..!» عِبارَةٌ كانَتِ الْعَمَّةُ بولي تُرَدِّدُها عَشَراتِ الْمَرّاتِ كُلَّ يَوْمٍ... وَلٰكِنَّها كانَتْ، كُلَّ مَرَّةٍ، تَتَمالَكُ نَفْسَها. فَعَلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ طوم صُوَيَر كانَ وَلَدًا مُشاغِبًا، إلّا أَنَّها كانَتْ تُحِبُّهُ مِثْلَ حُبِّها لِأَوْلادِها. فَالصَّغيرُ الْمِسكينُ فَقَدَ والِدَيْهِ، فَتَعَهَّدَتْهُ الْعَمَّةُ بولي، وَأَقْسَمَتْ عَلى تَرْبِيَتِهِ كَأَوْلادِها. لٰكِنَّ الْمُهِمَّةَ كانَتْ شاقَّةً، لِأَنَّ طوم كانَ يُفَضِّلُ ضِفافَ الْأَنْهارِ وَصَيْدَ الْأَسْماكِ، أَكْثَرَ مِنَ الْجُلوسِ عَلى مَقاعِدِ الْمَدْرَسَةِ.

فِي هٰذا الصَّباحِ، كانَ طوم عَلى الطَّوْفِ مَعَ صَديقَيْهِ جو وَهاكِلْبَري، الَّذي كانَ الْجَميعُ يُنادونَهُ «هاك». أَمّا هاك، فَقَدْ كانَ أَكْثَرَهُمْ شَقاوَةً، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَحَدٌ لِيُهَذِّبَ أَخْلاقَهُ؛ حَتّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَنْزِلٌ: كانَ يَنامُ، صَيْفًا وَشِتاءً، في بِرْميلٍ! وَقَدْ أَحَبَّ ذٰلِكَ كَثيرًا. أَمّا حُلْمُهُ الْأَكْبَرُ فَهُوَ أَنْ يُصْبِحَ قُرْصانًا! «هُجومٌ! إِلى الْأَمامِ!» صَرَخَ الْأَوْلادُ الثَّلاثَةُ لَدى مُرورِ السَّفينَةِ الْبُخارِيَّةِ بِقُرْبِهِمْ، في النَّهْرِ.





عادَ طوم مُتأَخِّرًا إلى الْمَنْزِلِ، فَصاحَتْ عَلَيْهِ الْعَمَّةُ بولي: «سَوْفَ أُلَقِّنُكَ دَرْسًا..!» لٰكِنَّها تَمالَكَتْ نَفْسَها -كَالْعادَةِ - وَبَدَلًا مِنْ أَنْ تَضْرِبَهُ، فَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُمْضِيَ نَهارَ الْعُطْلَةِ وَهُوَ يَدْهَنُ السِّياجَ الْخَشَبِيَّ في الْحَديقَةِ. إنَّما طوم كانَ يُفَضِّلُ أَنْ يُضْرَبَ: فَالضَّرْبُ يُوْجِعُ، وَلٰكِنَّهُ قِصاصٌ يَنْتَهي سَريعًا، وَيَزولُ مَفْعولُهُ سَريعًا!

عِنْدَما أَنْهى طوم قِصاصَهُ، قَصَدَ الْبَيْتَ الْمَهْجورَ في طَرَفِ الْقَرْيَةِ، حَيْثُ كانَ هاك في ٱنْتِظارِهِ. وَكانا قَدْ أَسْمَيا هٰذا الْمَكانَ «بَيْتَ الأَشْباحِ»! لٰكِنَّ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ كانا في الْبَيتِ لَمْ يَكونا شَبَحَيْنِ! «هَلْ رَأَيْتَ؟» قالَ هاك، «إِنَّهُ جو الْهِنْدِيُّ وَشَريكُهُ، يُدَبِّرانِ أَمْرًا ما! وَأُقْسِمُ أَنَّ في الصُّنْدوقِ كَنْزًا!»





فِي الْيَوْمِ التّالي، عادَ الرَّجُلانِ إلى «بَيْتِ الأَشْباحِ»، وَحَمَلا الصُّنْدوقَ، دونَ أَنْ يُلاحِظا أَنَّ هاكْ يُراقِبُهُما. تَبِعَهُما الصَّبِيُّ بِخِفَّةٍ، وَهُوَ يُفَكِّرُ في صَديقِهِ طوم؛ فَالْمِسْكينُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَهْرُبَ مِنَ الْمَدْرَسَةِ. «لا شَكَّ في أَنَّ طوم يَكادُ يَموتُ مِنَ الضَّجَرِ، بَيْنَ الْكُتُبِ وَالدَّفاتِرِ، فيما أَنا أَعيشُ مُغامَرَةً شائِقَةً! شائِقَةً، وَلا شَكَّ، لكِنَّها خَطِرَةٌ... فَلْنَنْتَبِهْ...»

كَمْ كانَ هاك مُخْطِئًا! فَلِمَرَّةٍ، لم يَكُنْ طوم ضَجِرًا لِأَنَّ في صَفِّهِ، الْيَوْمَ، تِلْميذَةٌ جَديدةٌ، جَميلَةٌ كَأَميرَةٍ وَٱسْمُها بَكي! وَبِلَحْظَةٍ أُعْجِبَ طوم بِها؛ فَأَخَذَ وَرَقَةً صَغيرَةً وَكَتَبَ عَلَيْها «أَنْتِ جَميلَةٌ جِدًّا»، ثُمَّ طَواها مَرَّتَيْنِ وَأَعْطاها إِيّاها... وَيا لَلْمُفاجَأَةِ! فَبَدَلًا مِنْ أَنْ تَغْضَبَ، كَما كانَ طوم يَتَوَقَّعُ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ بِخَجَلٍ، وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بَسْمَةً ساحِرَةً، جَعَلَتْهُ يَطيرُ مِنَ الْفَرَحِ!





هٰكذا، نَسِيَ طوم الْكَنْزَ، وَالرَّجُلَيْنِ الْغامِضَيْنِ وَصَديقَهُ هاك أَيضًا، الَّذي ٱنْتَظَرَهُ طوالَ الْمَساءِ دونَ جَدْوى! فَقَدْ ذَهَبَ طوم مَعَ صَديقَتِهِ في نُزْهَةٍ لَطيفَةٍ. وَأَرادَ أَنْ يُرِيَها مَغارَةً في الْجَبَلِ. «لا تَخافي.. فَأَنا أَعْرِفُ الْمَغارَةَ تَمامَ الْمَعْرِفَةِ. سَوْفَ تَرَيْنَ.. إِنَّ الْأَمْرَ جَديرٌ بِالْمُغامَرَةِ!» وَإِذْ رَآها مُتَرَدِّدَةً، تَجَرَّأَ وَأَمْسَكَ بِيَدِها لِيَقودَها إِلى الدّاخِلِ...

مَرَّتْ دَقائِقُ داخِلَ الْمَغارَةِ، وَبَدَأَتْ حَماسَةُ طوم تَخِفُّ؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ سِوى مَدْخَلِ الْمَغارَةِ. وَعَلى الرُّغْمِ مِنَ الْمَشاعِلِ الَّتي كانَ قَدْ أَعَدَّها وَأَحْضَرَها مَعَهُ، فَإِنَّهُ بَعْدَ انْتِقالِهِ مِنْ سِرْدابٍ إِلى آخَرَ، وَمِنْ مُنْعَطَفٍ إِلى آخَرَ، أَحَسَّ بِأَنَّهُ أَضاعَ طَريقَهُ!





إلّا أنَّ الأَمَلَ بِالْخَلاصِ عادَ فَجْأَةً، عِنْدَما سَمِعَ الْوَلَدانِ وَقْعَ خُطُواتٍ في الْمَغارَةِ، وَظَهَرَ رَجُلٌ في يَدِهِ فانوسٌ. كادَتْ بَكي تَصْرُخُ مِنَ الْفَرَحِ، لَوْ لَمْ يُسْكِتْها طوم فَجْأَةً، وَقَدِ اعْتَراهُ خَوْفٌ شَديدٌ: «إِنَّهُ جو الْهِنْدِيُّ... وَهُوَ لِصٌّ خَطِرٌ! إذا رَآنا فَلَنْ نُفْلِتَ مِنْهُ!» وَبَدا الْهِنْدِيُّ مَسْرورًا، يُخاطِبُ نَفْسَهُ قائِلًا : «إِنَّ الْكَنْزَ مُخَبَّأٌ تَمامًا، وَلَنْ يَسْتَطيعَ أَحَدٌ إِطْلاقًا أَنْ يَكْتَشِفَهُ هُنا! ها.. ها!»

لَمّا خَرَجَ الْهِنْدِيُّ، عَرَفَ طوم أَنَّ هاك كانَ مُحِقًّا، حينَ قالَ إِنَّ في الصُّنْدوقِ كَنْزًا! لكِنَّ هَمَّ بَكي الْوَحيدَ، كانَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَغارَةِ... سالِمَةً! وَبَعْدَ أَقَلَّ مِنْ خَمْسِ دَقائِقَ، وَجَدَ طوم مَخْرَجًا، أَوْصَلَهُ وَصَديقَتَهُ فَوْقَ النَّهْرِ. وَهُناكَ، رَأَيا زَوْرَقَيْنِ يَحْمِلانِ رِجالًا مِنَ الْقَرْيَةِ، خَرَجوا لِلْبَحْثِ عَنْهُما. وَما لَبِثا أَنْ صَعِدا إِلى أَحَدِ الزَّوْرَقَيْنِ، وَعادا إِلى الْقَرْيَةِ.





إنَّها الْمَرَّةُ الْأُولى الَّتي تَصيحُ فيها الْعَمَّةُ بولي فَرَحًا، لا غَضَبًا: فَقَدْ كانَتْ مَسْرورَةً جِدًّا بِعَوْدَةِ طوم حَيًّا! ولٰكِنْ، في الصَّباحِ الْباكِرِ، عادَ طوم إلى سابِقِ عادَتِهِ؛ فَٱنْسَلَّ خارِجَ الْمَنْزِلِ، وَٱنْطَلَقَ عِنْدَ صَديقِهِ هاك الَّذي ٱسْتَقْبَلَهُ بِقَوْلِهِ: «يا لَكَ مِنْ جَبانٍ! تَرَكْتَني وَحيدًا، فَلَمْ أَسْتَطِعِ اللَّحاقَ بِاللِّصَّيْنِ، وَٱضْطُرِرْتُ إلى إعْلامِ رَئيسِ الشُّرْطَةِ. إنَّهُما يَنْوِيانِ قَتْلَ أَرْمَلَةِ الْقاضي! لَقَدْ ضاعَ عَلَيْنا الْكَنْزُ!»

«أَبَدًا... لَمْ يَضِعْ شَيْءٌ!» صاحَ طوم. وَأَخْبَرَ صَديقَهُ عَنْ مُغامَرَتِهِ في الْمَغارَةِ.

الْمُهِمُّ الْآنَ، هُوَ حِمايَةُ أَرْمَلَةِ الْقاضي مِنَ الْخَطَرِ. فَفي الْمَساءِ، رافَقَ الصَّبِيّانِ رَئيسَ الشُّرْطَةِ وَرِجالَهُ إِلى مَنْزِلِ الْأَرْمَلَةِ، حَيْثُ كَمَنوا لِلِّصَّيْنِ. وَهُناكَ أَخْبَرَتْهُمُ الْأَرْمَلَةُ أَنَّ زَوْجَها كانَ قَدْ حَكَمَ عَلى الْهِنْدِيِّ بِالسِّجْنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ؛ وَلِهٰذا، يُريدُ الْهِنْدِيُّ أَنْ يَنْتَقِمَ الْآنَ مِنْها.





فَجْأَةً، صاحَ أَحَدُهُمْ: «ها هُما! إلْحَقوا بِهِما!» وَكانَ النَّصّابانِ قَدِ اقْتَرَبا مِنَ الْمَنْزِلِ، لٰكِنَّهُما أَحَسّا بِوُجودِ الشُّرْطَةِ، فَحاوَلا الْهَرَبَ. وَلَحِقَ بِهِما رَئيسُ الشُّرْطَةِ وَرِجالُهُ، لٰكِنَّهُمْ أَضاعوهُما في الْحُقولِ، وَبَيْنَ الْأَشْجارِ، لِأَنَّ الْقَمَرَ لَمْ يَظْهَرْ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ. وَصاحَ رَئيسُ الشُّرْطَةِ: «أَحْضِروا الْكِلابَ...»

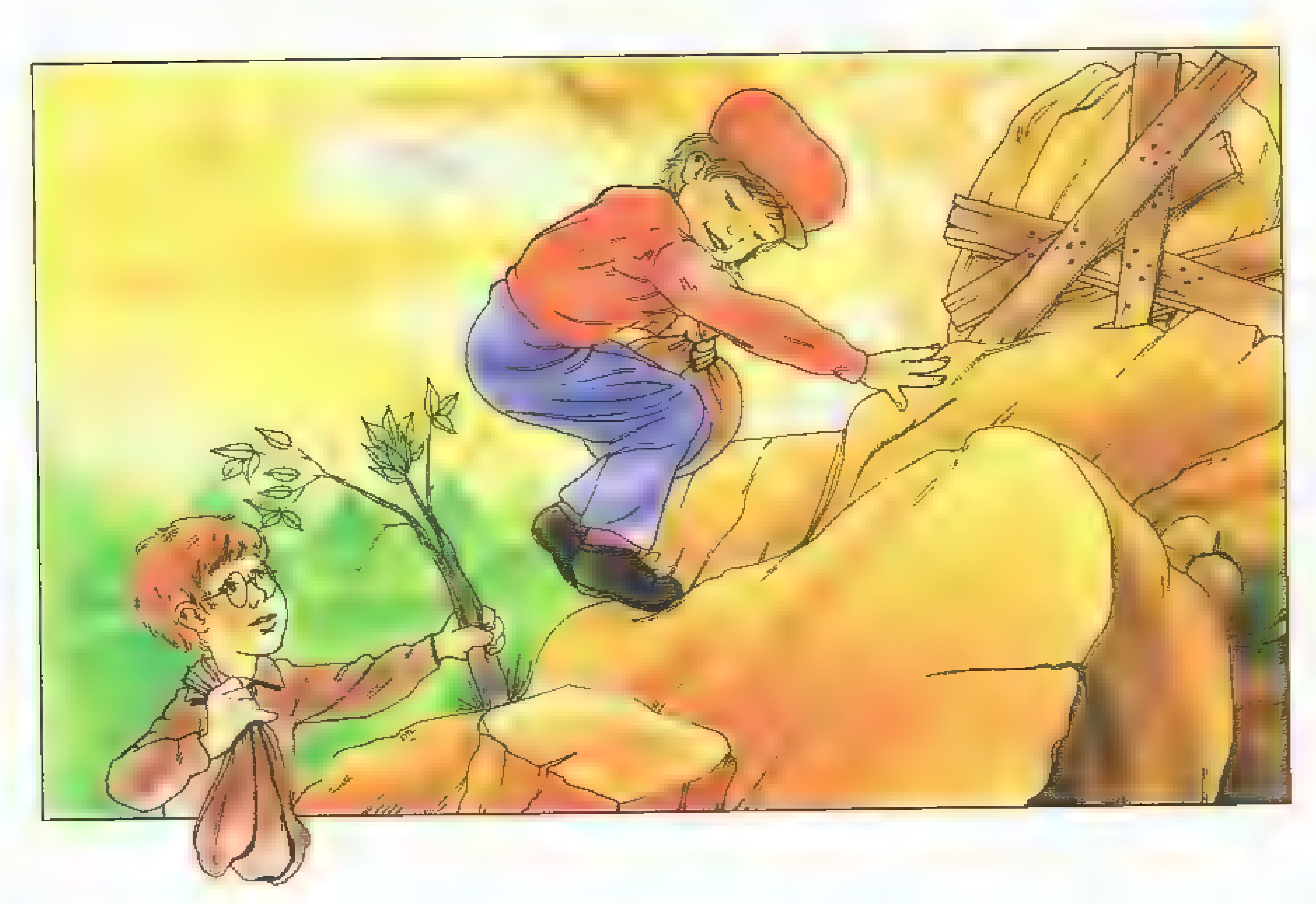
لَكِنَّ طوم هَمَسَ لَهُ: «لا لُزومَ لِلْكِلابِ. أَظُنُّ أَنَّهُما مُخْتَبِئانِ في عَرَبَةِ الْقَشِّ هٰذِهِ. فَقَدْ رَأَيْتُ كُومَةَ الْقَشِّ تَتَحَرَّكُ، مِنْ وَقْتٍ إلى آخَرَ!» أَمَرَ رَئيسُ الشُّرْطَةِ رِجالَهُ، فَزَحَفوا وَانْقَضّوا على الْعَرَبَةِ؛ وَبِالْفِعْلِ، ضَبَطوا اللِّصَّيْنِ مُخْتَبِئَيْنِ فيها! إِرْتاحَتْ أَرْمَلَةُ الْقاضي بَعْدَ الْقَبْضِ على الرَّجُلَيْنِ. وَكَمْ تَأَثَّرَتْ بِشَجاعَةِ وَشَهامَةِ الصَّبِيَّيْنِ، وَبِخاصَّةٍ عِنْدَما عَلِمَتْ أَنَّ هاك مُتَشَرِّدٌ، لا والِدَيْنِ وَلا مَأْوى لَهُ! لَكِنَّ هاك لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ أَنْ يُشْفِقَ عَلَيْهِ أَحَدٌ.





فِي الْيَوْمِ التّالي، قَصَدَ طوم صَديقَهُ، وَعَلاماتُ الانْشِراحِ بادِيَةٌ عَلى وَجْهِهِ، وَقالَ لَهُ: لَقَدْ أَحْضَرْتُ مَعي أَرْبَعَةَ أَكْياسٍ، آمُلُ أَنْ تَكْفِيَنا. وَوَضَعْتُ في أَحَدِها حَبْلًا لِلتَّسَلُّقِ، وَسِكّينًا «اسْتَعَرْتُهُ» مِنْ مَطْبَخِ عَمَّتي، وَخَيْطًا طولُهُ مِئَتا مِتْرٍ!» فَصاحَ هاك مُنْدَهِشًا: «مِئَتا مِتْرٍ!؟ ماذا سَنَفْعَلُ بِهِ؟!» لٰكِنَّ طوم لَمْ يُجِبْهُ...

وَظَلَّ ساكِتًا حَتّى وَصَلا إلى الْمَغارَةِ، حَيْثُ خَبَّأَ الْهِنْدِيُّ الْكَنْزَ! وَكانَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ قَدْ قاموا بِسَدِّ مَدْخَلِ الْمَغارَةِ بِالْحِجارَةِ الضَّخْمَةِ وَالْأَخْشابِ، بَعْدَ أَنْ ضاعَ داخِلَها طوم وَصَديقَتُهُ، وَذٰلِكَ لِئَلّا يَضيعَ فيها أَوْلادٌ آخَرونَ. فَدارَ طوم حَوْلَها، وَوَصَلَ إِلى الْمَخْرَجِ الَّذي سَلَكَهُ مَعَ صَديقَتِهِ. عِنْدَئِذٍ، أَخْرَجَ الشَّريطَ وَقالَ: «سَنَرْبُطُهُ إِلى جِذْعِ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ، وَنَمُدُّهُ مَعَنا إِلى الدّاخِلِ، فَيُرْشِدُنا إِلى طَريقِ الرَّجْعَةِ!»





وَهٰكَذا فَعَلَ الصَّبِيّانِ؛ فَدَخَلا الْمَغارَةَ وَبَحَثا طَويلًا، حَتّى كادَ الشَّريطُ يَنْتَهي. وَفَجْأَةً، وَجَدا صُنْدوقَ الْكَنْزِ مُخَبَّأً في إِحْدى الزَّوايا، وَمَخْتومًا بِقُفْلٍ حَديدِيٍّ. أَخْرَجَ طوم السِّكّينَ الَّذي «اسْتَعارَهُ» مِنْ عَمَّتِهِ، وَفَتَحَ الْقُفْلَ. ثُمَّ رَفَعَ غِطاءَ الصُّنْدوقِ، فَلَمَعَتِ الْقِطَعُ الذَّهَبِيَّةُ..! وَبِسُرْعَةٍ، عَبَّأَ طوم وَهاك الْأَكْياسَ الْأَرْبَعَةَ، وَعادا إِلى الْقَرْيَةِ.

عِنْدَ وُصولِهِما، فوجِئا بِالسُّكّانِ يُسْرِعونَ نَحْوَهُما، وَيَأْخُذونَهُما عِنْدَ أَرْمَلَةِ الْقاضي. وَهُناكَ كانَ في ٱنْتِظارِهِما خَبَرٌ سَعيدٌ: لَقَدْ قَرَّرَتِ الْأَرْمَلَةُ أَنْ تَتَبَنّى هاك، فَتُؤَمِّنَ مَعيشَتَهُ وَتَرْبِيَتَهُ وَتَعْليمَهُ! صُدِمَ هاك بِالْخَبَرِ، لٰكِنَّ طوم قالَ: «صَحيحٌ أَنَّ هاك يَتيمُ الْأَبَوَيْنِ، لٰكِنَّهُ لَيْسَ فَقيرًا.. إِنَّهُ الْآنَ غَنِيٌّ!»





وَفَتَحَ طوم أَحَد الْأَكْياسِ، فَانْبَهَرَ كُلُّ الْحاضِرينَ مِنْ لَمَعانِ الْقِطَعِ الذَّهَبِيَّةِ فيهِ، ما عَدا الْعَمَّةَ بولي؛ فَإِنَّها، مِنْ كُلِّ الْقِطَعِ اللّامِعَةِ، لَمْ تَرَ إِلّا سِكّينَها الَّذي كانَتْ أَضاعَتْهُ، فَصاحَتْ: «يا إِلٰهي! لَقَدْ بَحَثْتُ عَنْهُ في كُلِّ مَكانٍ! آهِ! سَوْفَ أُلَقِّنُكَ دَرْسًا..!»

أَسْئِلَةٌ

١) هَلْ كانَتِ الْعَمَّةُ بولي تَضْرِبُ طوم؟
٢) لِماذا عادَ طوم مُتَأَخِّرًا إلى الْمَنْزِلِ؟ وَلِماذا صاحَتْ عَلَيْهِ عَمَّتُهُ؟
٣) لِماذا نَسِيَ طوم صَديقَهُ هاك وَمَسْأَلَةَ الْكَنْزِ؟
٤) هَلْ كانَ طوم يَعْرِفُ الْمَغارَةَ؟ ماذا كانَتِ النَّتيجَةُ؟
٥) ماذا كانَ الْهِندِيُّ يَفْعَلُ في الْمَغارَةِ؟
٦) هَلْ كانَ رِجالُ الْقَرْيَةِ يَهْتَمّونَ بِأَوْلادِهِمْ؟ كَيْفَ عَرَفْتَ ذٰلِكَ؟
٧) أَيْنَ ٱخْتَبَأَ اللِّصّانِ عِنْدَما لاحَقَهُما الرِّجالُ؟
٨) لِماذا أَحْضَرَ طوم مَعَهُ إلى الْمَغارَةِ خَيْطًا طولُهُ مِئَتا مِتْرٍ؟
٩) ما الْمُفاجَأَةُ الَّتي كانَتْ في ٱنْتِظارِ طوم وَهاك عِنْدَ عَوْدَتِهِما إلى الْقَرْيَةِ؟
١٠) تَخَيَّلْ ما حَدَثَ بَيْنَ طوم وَعَمَّتِهِ، بَعْدَ ٱنْتِهاءِ الْقِصَّةِ.
١١) إِشْرَحِ الكَلِماتِ التالِيَةَ:

أَلْقَنُكَ (ص ٥) ◆ تَعَهَّدَتْهُ (ص ٥) ◆ الطَّوْفِ (ص٦) ◆ شائِقَةٌ (ص ٩) ◆ فَٱنْسَلَّ (ص١٥) ◆ كَمَنوا (ص ١٦) ◆ إِنْقَضّوا (ص١٨) ◆ الانْشِراحِ (ص١٩) ◆ سَلَكَهُ (ص٢٠) ◆ تَتَبَنّى (ص٢٢) ◆ فَٱنْبَهَرَ (ص٢٣) ◆

سِلْسِلَة «أَحْلى المُغامَراتِ العالمِيَّةِ»

النَّجْمَةُ البَيْضاءُ

الفُرْسانُ الثَّلاثَةُ

روبِن هُود

طوم صُويَر

جَزيرَةُ الكَنْزِ

